تأثير نهج البلاغة في النثر العربي للقرن الثاني الهجري

طالب الدكتوراه طعمه غضبان عبيد
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الالهيات والمعارف الاسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
Yahuseen79@gmail.com
الدكتور جواد سعدون زاده (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الالهيات والمعارف الاسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
j.sadounzadeh@scu.ac.ir

The impact of Nahj al-Balagha in the Arabic prose of the second century AH

PhD student:touma ghadbabn obaid
Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University Ahvas , Ahvas , Iran
Dr. Javad Sadounzadeh (Responsible author)
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University Ahvas , Ahvas , Iran

الملخص:-

لقد أثّرت بلاغة الإمام علي عليه السلام على الكثير من أكابر الأدباء العرب كالجاحظ، وعبد الحميد، وابن نباتة. وكان الجاحظ قد جمع مائة كلمة قصيرة من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يجمع السيد الرضي نهج البلاغة، وعمد إلى شرح هذه الباقة من الكلمات باحثون كبار كرشيد الوطواط، وابن ميثم البحراني، وذكر الجاحظ كذلك عدّة خطب من خطب أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه ((البيان والتبيان)). ولم تخل آثار أكابر الأدب الفارسي أيضا من التأثر بكلام أمير المؤمنين عليه السلام.

يمثّل كتاب نهج البلاغة دائرة معارف من الثقافة الإسلامية تتضمن معارف مختلفة من قبيل: معرفة الله تعالى وعالم الملائكة، وطبيعة نشوء العالم، وطبيعة الإنسان، والأمم والحكومات الصالحة أو الفاسدة. لكنّ الملاحظة المهمة فيما يمكن الحديث عنه حول هذه الخطب هو أنّ الإمام عليه السلام لم يكن بصدد تدريس العلوم الطبيعيّة أو التعرّف على عالم الحيوان أو تفهيم الملاحظات الفلسفية أو التاريخية، وإنّما سار عليه السلام في طرحه لهذه المواضيع على الطريقة التي استعملها القرآن الكريم في بيانه لهكذا أمور وذلك بلغة الموعظة حيث جعل أمام المستمع نموذجاً واضحاً يمكن إدراكه عن كل ظاهرة محسوسة أو معقولة، ثم أخذ الشخص رويداً رويداً إلى ما يرنوا إليه وما ينبغي بلوغه، وهو عتبة الله تعالى وبابه جلّ اسمه.

فحاول الباحث ان يتلمس مواطن التأثر الذي ظهر في النثر العربي من خلال قراءة النصوص النثرية وتحليلها وبيان مدى التأثير ومصاديقه، فكان ظاهرا اللفظ والأسلوب والمعنى الذي استفاد منه أدباء القرن الثاني الهجري، وسلك الباحث المنهج التحليلي كوسيلة للوصول إلى هدفه من البحث عبر قراءة متأنية ومتابعة لكتب ودراسات سابقة كانت قريبة من هدف البحث.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، الكلام، النثر العربي، القرن الثاني الهجري.

Abstract:-

The rhetoric of Imam Ali has influenced many of the great Arab writers, such as Al-Jahiz, Abdul Hamid, and Ibn Nabata. Al-Jahiz had collected one hundred short words from the words of the Imam, the Commander of the Faithful (peace be upon him) before Mr. Al-Radi compiled Nahj Al-Balagha, and he proceeded to explain this group of words by great researchers such as Rasheed Al-Watwat and Ibn Maytham Al-Bahrani. Al-Jahiz also mentioned several of the speeches of the Commander of the Faithful (peace be upon him).) in his book "Al-Bayan and Al-Tibayan". The masterpieces of Persian literature were also influenced by the words of the Commander of the Faithful (peace be upon him). The book Nahj al-Balaghah represents a encyclopedia of Islamic culture that includes various knowledges such as: knowledge of God Almighty and the world of angels, the nature of the creation of the world, the nature of man, nations and good or corrupt governments. But the important note regarding what can be said about these sermons is that the Imam (pbuh) was not in the process of teaching natural sciences, getting to know the animal world, or understanding philosophical or historical observations. His explanation of such matters was in the language of exhortation, where he made in front of the listener a clear and comprehensible model of every perceptible or sensible phenomenon. The researcher tried to find out where the influence appeared in the Arabic prose by reading the prose texts, analyzing them and showing the extent of the influence and its credentials. And previous studies were close to the goal of the research.

Key words: Imam Ali (peace be upon him), speech, Arabic prose, second century AH.

المقدمة:

نَهجُ البَلاغَة: هوَ مَجمُوعةٌ شهيرةٌ من خطبٍ، رسائلٍ، تفاسيرٍ، وروايات منسوبةٍ إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جمعها الشريف الرضي أحد علماء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

ونهج البلاغة تميز لفصاحةِ محتواه، ويعدُ تحفةً أدبيةً عندَ الشيعة وغيرهم، فنهج البلاغة؛ هو مجموعة مختارة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله، وقد جمعها السيد الرضي أواخر القرن الرابع الهجري، وهدف الرّضي من تأليف الكتاب اختيار مجموعة من الخطب التي يتجسّد فيها الكلام الأدبي البليغ وملاحظة عنصر الفصاحة والبلاغة.

وقد تجسّدت البلاغة في هذا الكتاب إلى الحدّ الذي جعل السيد الرضي يتباهى، ويفتخر بإنجازه هذا، رغم كونه شاعراً قديراً ومتكلماً فذاً قدّم تراثاً جماً يكفيه فخراً ورفعة وقد كتب في مقدمة نهج البلاغة أنَّ السبب لتأليفه هذا الكتاب عندما سألوه قائلاً: "فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الثرة والفضائل الجمّة وأنّه انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فأمّا كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل والجمّ الذي لا يحافل" (الشريف الرضي، نهج البلاغة: ج ١، ص١١).

من خلال الخطب والرسائل دعا الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام الناس إلى الانقياد لأمر الله واجتناب ما حرّم، وكتب عليه السلام إلى عمّاله بضرورة رعاية حقوق الناس، فيما كانت الحكم القصيرة في نهج البلاغة، مجموعة كلام حكيم مفعم بالمواعظ، ومقال تمّ بيانه بلغة أدبيّة مثّلت الذروة في المجال الأدبيّ، وقد تُرجم الكتاب إلى لغات مختلفة، وقدّم له علماء الشيعة و السنّة شروحاً كثيرة.

تنوعت موضوعات نهج البلاغة: معارف راقية في التوحيد، مثل إلهية سامية، نصائح ومواعظ، بيان وتحليل للأحداث السياسية والاجتماعية، عهود للولاة وتنبيههم وغير ذلك... وقد احتوى نهج البلاغة على مأتيين واثنتين وأربعين خطبة، وتسعة وسبعون كتاباً، ووأربعمائة وثمانون حكمة من حكم على.

النثر العربي

النثر العربي: هو كل نثر أدبي وصل ألينا مكتوب باللغة العربية، ويعد بالإضافة إلى الشعر العربي من الأشكال الأدبية للكتابة ويكون فيه سمات جمالية كالطباق والسجع وغيرها، وتعتبر معظم الأعمال الأدبية نثرا، ويتكون النثر من الكتابة التي لا تلتزم بأية هياكل رسمية خاصة، سوى قواعد النحو العربي أو هو كتابة غير شعرية.

ويمكننا القول أنَّ النثر هو "الكتابة ببساطة عن شيء دون المحاولة بالضرورة أن يكون ذلك بطريقة جميلة، أو باستخدام الكلمات الجميلة، فكتابة النثر يمكن بالطبع أن تتخذ شكلاً جميلاً ليس بفضل الميزات البلاغية التجميلية للكلمات (القوافي، الجناس) ولكن بدلا من ذلك استخدام النمط، والتنسيب، أو إدراج الرسومات، وهناك منطقة واحدة من التداخل هي "شعر النثر"(انظر: حسين، طه، حديث النثر والشعر، ٢٠١٣:ص١٢-٢٢) والذي يحاول أن ينقل المعلومة و الفكرة باستخدام النثر فقط مع إثراء الجمالية النموذجية للشعر.

وسنحاول أن نجيب في بحثنا هذا عن الأسئلة التالية:

- ما مصاديق تأثر النثر العربي بنهج البلاغة ؟
- ما النتائج المتحققة عن ذلك التأثر؟

فرضيات البحث

ظهر واضحا وجليا مقدار الاتكاء على خطب وكلمات نهج البلاغة الذي استخدمه أدباء القرن الثاني الهجري، وهذا نابع من خلفية مطلعة على ثقافات مميزة، ونجد أن الكاتب الذي أخذ من نهج البلاغة يصرح أحيانا وبصورة جلية عن اقتباسه منه وتأثره به، أو يلمح أحيانا أخرى، وقد يرى الباحث المتخصص تلك الخطب الجليلة القدر واضحة بمعناها في مؤلفات أدباء القرن الثاني الهجري رغم إنها لم تكن بصورتها الحالية ككتاب مطبوع ومبوب، بل كانت خطب وكلمات يحفظونها عن ظهر قلب ويتداولها الناس ويحفظونها...

خلفية البحث

تناول العديد من الباحثين هذا الموضوع ولكن الباحث لم يجد بحثا درس المدة الزمنية التي تناولناها في هذا الجهد وهي القرن الثاني الهجري، ولذلك سنذكر عدد من البحوث

والدارسات التي بحثت موضوعنا هذا، ومنها:

١. دراسة بعنوان أثر نهج البلاغة على الأدب العربي للكاتب محمد هادي الأميني تناول فيها خطب الإمام علي عليه السلام وأول من جمعها مع الإشارة لمصادرها وبطريقة تحليلية.

٢. دراسة بعنوان اثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسي الإسلامي للكاتب محمد باقر محمد صالح القزويني ونشرت في مجلة جامعة أهل البيت تناول فيها الباحث اثر النهج على الفكر الأدبي لكتّاب مسلمين بحسب التسلسل التاريخي فكانت الدراسة تحليلية أدبية رغم أنها تبحث عن الأثر السياسي لكنها كانت تتبع النثر مع السياسة.

٣. دراسة بعنوان نهج البلاغة مثال الأدب الإسلامي الرفيع للدكتور عبدالكريم المحمود يحاول هذا البحث أن يستظهر خصائص الأدب الإسلامي ومقوماته من خلال نهج البلاغة، متخذاً في هذا الاستظهار منهجاً نقدياً إسلاميا حديثا يتمايز في أسسه وأصوله عن مناهج النقد الأدبي الأخرى.

٤. دراسة بعنوان النثر في عصر صدر الإسلام للباحث يسري عبد الغني عبدالله وهي محاولة لتتبع النص النثري العربي بالدراسة والتحليل الفني، لان النص النثري يُعَدُّ البداية السليمة لأي دراسة أدبية تستهدف النتائج الصحيحة.

نماذج نثرية من أدباء القرن الثاني الهجري وكيف تأثروا بنهج البلاغة

لقد دأب الخطباء والمتكلمون العرب ومنذ القرن الأوّل وما تلاه إلى مطالعة خطب أمير المؤمنين عليه السلام واستعمال بعض مقاطعها ليحسّنوا كلامهم ويجملوه ويهذبوه من كلّ ما يضرّ ببلاغتهم واستعمالاتهم الخاطئة، وليكوّن ملكة فيما يتفوهون به أمام مخاطبيهم أو يكتبوه لقرائهم (شهيدي، مقدمة نهج البلاغة، ص٤٥)، ولو لاحظ الباحث ما كتب من خطب أو رسائل لأدباء عرب بل وشعراء بعد الإسلام لأدرك دون أدني شك أثر خطب الإمام علي عليه السلام على ما أنشده الشعراء أو نشره الأدباء العرب في أبياتهم أو مدوناتهم (شهيدي، مقدمة نهج البلاغة، ص٣٩. للمزيد راجع: مقالة نهج البلاغة و أثره على الأدب العربي ص ١١٩، محمد هادي الأميني، انتشارات نهج البلاغة).

والحاصل أن كلام على بن أبي طالب عليه السلام قد نال في النصف الأول من القرن الأول شهرة، حيث كان العرب في ذلك الوقت يدرسون خطبه، ويحفظونها ويقلدونها بفخر وتباهي لمكانتها السامية ومرتبتها اللغوية والأدبية العالية ويدل عليه ما يقول الشعبي المتوفى سنة(١٠٦هـ) في صعصعة بن صوفان: ((تعلمت منه الخطب)) (العسقلاني،١٩٧١م، لسان الميزان، ص٤٦٠).

وذكر ابن أبي الحديد عن عبد الحميد الكاتب إنه قال: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت، و قال ابن نُباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ على بن أبي طالب عليه السلام(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء ١، ص٢٤).

روى أبو إسماعيل القالي) (البغدادي، القالي، الامالي، ص١٠٢) هذه الخطبة بعزوها إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز:

((وحدثنا أبوبكر بن الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الزنادي قال: يقال: إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تكلم بهذا الكلام في خطبته ((إنما الناس في الدنيا أغراض... الخ)) (نفس المصدر، ج١، ص١٧٩).

((ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، والسبقة الجنة والغاية النار))(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ص٤٦)

الحسن البصري(٢١-١١٠هـ): "هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري،ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، قاله عبد السلام أبى مطهر، عن غاضرة بن قرهد العوفي، ثم قال: وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويقال: كان مولى جميل بن قطبة...

ويسار أبوه من سبي ميسان سكن المدينة وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن - رحمة الله عليه - لسنتين بقيتا من خلافة عمر واسم أمه خيرة، ثم نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة.قال حجاج بن نصير: سبيت أم الحسن البصري من ميسان وهي حامل به، وولدته بالمدينة"(الذهبي، ٢٠٠١م، سير أعلام النبلاء:الجزء الرابع: ص٥٦٤).

ومما يحسب للحسن البصري انه كان من أوائل الذين جمعوا خطب الإمام علي عليه السلام وهذا ما سيراه القارئ اللبيب المطلّع على كتب البصري، وقد يكون لذلك أثرا في طريقة كتابة البصري ونتاجه الفكري وبناء تراكيبه اللغوية، فالشيخ البصري المتقدم والخبير الماهر صاحب الكتب الكثيرة ومنها خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه إلى عماله، والتي تعد طليعة الجمع والتبويب لخطب الإمام علي عليه السلام، واخترنا نماذج من إدباء القرن الثاني الهجري مع أمثلتها لنكون مصاديق لموضوع بحثنا.

ثم لما بدأ النثر العربي يتطور، وتذوق العرب النثر بدأت تتجلى مظاهره في كتاباتهم، وعلى ذلك يوجد في كتاب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز الذي هو أروع نموذج للنثر العربي، كثير من كلمات وتراكيب خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام (صفوت، احمد زكي، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، (د.ت)، ص٣٣١) وفيما يلي بعض الأمثلة:

١. فاحذرها الحذر؛ فإنها مثل الحية لين مَسُّها وسمها يقتل.

٢. فإنها قد آذنت بزوال لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجائعها.

٣. فانظر إليها نظرَ الزاهد المفارق.

والمقاطع النثرية أعلاه مقتبية من خطب الإمام علي عليه السلام والبصري يصرح بها ولا يحاول تغييبها عن نصوصه، بل يجعلها في واضحة وجلية للقارئ رغم الظروف التي كانت سائدة انذاك من محاولات سياسية لتغييب خطب الإمام أو نسبتها لغيره.

والمتابع لكلام الإمام عليه السلام يجد المعنى والأسلوب واضحاً في مستهل خطبة الحسن البصري التي قال فيها(إنَّ الدنيا دار عمل من صحبها بالنقص لها، والزهد فيها سعد بها ونفعته صحبتها، ومن صحبها على الرغبة فيها، والمحبة لها شقي بها وأجحف بحظه من الله عزّ وجل(حلية الأولياء: ٢/ ١٤٠.)، فهو يرى كلام الإمام عليه السلام ويحاكي الطريقة التي اعتمدها عليه السلام في توصيل الفكرة، طريقة تعتمد على الشرط ثم النتيجة: فالشرط هو(من أقل منها) والنتيجة(استكثر مما يؤمنه)، عند البصري(من صحبها بالنقص منها) تكون النتيجة(سعد بها) والبصري لم يغفل المقارنة التي اعتمدها الإمام عليه السلام بين: من أقل، ومن استكثر من

الدنيا والتي اعتمد الطباق فيها: (ساعاها- قعد عنها، وفاتته- وأتته، يؤمنه - يوبقه) فقال البصري: (سعد وشقى)(ينظر: أثر كلام الإمام علي في النثر العربي: ١٢٩).

والنتيجة ان التأثر واضح في كلام الحسن البصري سواء بالمعنى أو النص أو الأسلوب، وهو ما أضاف قوة إلى نثره وكتاباته نابع من مصدر مليء بالمعاني والمضامين.

عبد الحميد بن يحيى العامري: "عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري (٧٥ هـ - ١٣٢هـ/٧٤٩م) هو الأستاذ الأول للكتابة الفنية عند العرب، نشأ في الأنبار واحترف التعليم في الكوفة واتصل بخلفاء بني أمية، وعظمت منزلته عند الخليفة مروان بن محمد حتى صار كاتباً وصديقا له وكان من أشهر الكتاب في أواخر عصر الدولة الأموية وتوفي سنة ١٣٢ هجرية، هرب مع مروان بن محمد إلى مصر حيث قتلهما العباسيون في أبوصير بصعيد مصر، ارتقت على يديه صناعة الكتابة، فعدّ من أساتذة البلاغة العربية ورائد كتّاب الرسائل عامة وطور الرسائل بكثرة التحميدات في صدر الرسالة وبالتوسع في المعاني والعناية بترتيبها ووضوحها. اشتغل في دواوين الخلفاء وقد تأثر الكتّاب بأسلوبه الذي كان أول من أطال الرسائل وأكثر من التحميدات"(مقدمة ابن خلدون ج خليل شحاتة:ج١:ص ٣٠٧-٣٠٨).

كان عبد الحميد بن يحيى [1] العامري (المقتول سنة ١٣٢هـ)(معجم المؤلفين:ج ٥ / ١٠٦.) "كاتباً لمروان بن محمّد آخر الخلفاء المروانيين. وقد تحدّث البعض عن أنّ فنّ الكتابة بدأ مع هذا الرجل"(مجلة دعوة الحق المغربية، السنة العاشرة، العدد (١١٨)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١)، وقد نُقلَ عنه قوله (إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مقدمة نهج البلاغة، ج١، ص ٢٤): "حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت كلامه وهو ما حمل الشريف الرضي في القرن الرابع الهجري على جمع المختار من خطب على عليه السلام وكتبه وكلماته في أبواب ثلاثة، وقال في مقدمة الكتاب أنه آثر لنفسه جمع المختار من ذلك وترك لكل باب أوراقاً بيضاء ليلحق بالمدون ما سيظفر به في المستقبل، ولم تكن في نفسه غير داعية الأدب داعية أخرى. ولو كان قلمه يحمل شيئاً من التعصب في المذهب لما أثبت في كتابه تأبين على لعمر بأعلى ما يمدح به ممدوح، وكان في مندوحة من حذفه كما سيأتي في حين أن هذا التأبين يحمل في تضاعيفه أقصى المدح وأعلاه. وأما ذمه له في الشقشقية إذا قيس بهذا أضحى ظلاً مضمحلاً.

ابن المقفع (ت١٤٢هـ): عبد الله بن المقفع صاحب الرسائل البديعة والبليغة، وُلِدَ في العراق سنة ١٠٦هـ، وهو من أهل فارس، والده هو ذَادَوَيْه، قد ولي خراج فارس للحَجّاج، فخانه، فعذبه الحَجّاج، فَتَقَفّعَتْ يده؛ ولهذا سُمِّي "ابن المقفع"، وقيل: بل كان والده يعمل قِفَاعَ الخُوصِ، وهي كَالقُفّةِ(الأعلام:٤/١٤٠).

كان من اوائل من اعتنى بالترجمة في الاسلام وبدأ بكتب المنطق وأسمه بالفارسية روزبه كما قال ابن النديم في الفهرست: وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام (الناس) المحفوظ حروفاً (ابن المقفع،، الأدب الصغير والأدب الكبير، تحقيق إنعام فوال، ص ٣٧).

ويرى (ابن المقفع) أن البناء الأول في النثر العربي الأدبي الفني كان عند أمير المؤمنين الإمام علي في نهج البلاغة، وقيل أنه تخرج في البلاغة بخطب على بن أبي طالب(نفس المصدر: ص٦).

ويلاحظ القارئ اللبيب والباحث المتخصص ان ابن المقفع قد صاغ كلامه النثري على سياق كلام امير المؤمنين على ابن ابي طالب عليه السلام وخصوصا رسائل الإمام علي عليه السلام السياسية وخطبه، رغم أنَّ ابن المقفع لم يذكر اسم الإمام علي صراحة في بعض كتاباته ألا إنها واضحة كما اشرنا سابقا، وأخذه للخطب والأقوال العلوية كاملة دليل نقلي لكلامنا.

ولو تفحصنا كتاب الادب الصغير والادب الكبير بدقة وتركيز لوجدنا الكثير من مصاديق كلام أمير المؤمنين على عليه السلام فنجد ان ابن المقفع قال: "ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عمالهم وتفقد أمورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن ولا إساءة مسيء"(نفس المصدر: ص ٥٢)... وهذا أيضاً مأخوذ من الإمام علي عليه السلام، من رسالته إلى مالك الأشتر: "ولا يكن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة"(عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص٦٠٤).

ويورد أيضاً (ابن المقفع، الأدب الصغير، ص٤٦)؛ "وعلى العاقل - ما لم يكن مغلوباً على نفسه- أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه، وينصحونه في أمره، وساعة يُخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها مما يحل ويحمل". وقد استوحى هذه الجمل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام؛ "للمؤمن ثلاث ساعات، ساعة يُناجي فيها ربه،

وساعة يُرمّ معاشه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها"(الشريف الرضي، نهج البلاغة(الملحق لمعجم ألفاظ نهج البلاغة)، ص٢٢٢).

ونجد في اخر الادب الصغير كلاما لابن المقفع قال فيه: "إني مخبرك عن صاحب، كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه عندي، صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يُكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعو إليه مروءته، ولا يستحق رأياً ولا بدناً وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة، وكان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذّ القائلين، كان يُرى مستضعفاً فإذا جاء الجد فهو الليث عادياً، وكان لا يدخل في دعوى ولا يُشرك في رأي ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً، وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلا من يرجو عنده البرء، ولا يصحب إلا مَن يرجو عنده النصيحة. وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى فهو لا ينتقم من الولي - ولا يغفل عند العدو، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته"(ابن المقفع، الأدب الصغير، ص١٦٨).

وهذا الكلام اقتباس واضح وصريح من نهج البلاغة حيث قال فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام "كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه"(الشريف الرضي، ص٢١٢، من (الملحق)).

وهناك امثلة كثير في نثر ابن المقفع سقنا أمثلة منها، والكثير من الدلالات النقلية تصرح وتدل على الاثر الكبير لنهج البلاغة في ثقافة ابن المقفع وادبه، وهو ديدن الادباء في تلقف درر الكلام ومحاسنه وليس ذلك الوصف ببعيد عن كلام امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام.

أبو عثمان الجاحظ (١٩٥-٢٥٥هـ): الجاحظ هو من كبار أئمّة الأدب فهو إمام الأدباء في العصر العباسي الثاني، وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء الذي وُلد في البصرة سنة ١٥٩هـ بحسب بعض المؤرّخين، وسُمّي بالجاحظ لجحوظ عينيه، كما عمل جمالاً عند عمرو بن قلع الكناني، ومن صفاته أنّه كان حاد الذكاء، ذا جلدٍ وصرامةٍ وقدرةٍ على الكلام، وبديهة ورأي جيّد، كما كانت له أساليب ومذاهب وآراء في

الأدب واللغة خاصة به، ووضع طريقة بالإنشاء عُرفت باسمه، لذا اعتُبر قدوة المنشئين وإمامهم في ذلك العصر مثلما كان ابن المقفع إمامهم في العصر الأول(زيدان، جُرجي، تاريخ آداب اللغة العربية،:ص ٥٧١. بتصرّف)

لقد زيَّن الجاحظ كتبه مثل البيان والتبيين بفصول من خطب أمير المؤمنين إعجاباً بها وإعداداً للنفوس لبلوغ أقصى البلاغة.

ويسمّي إمام الأدب العربي، عدّه المسعودي أفصح كتاب السلف. كتب الجاحظ مهمشاً على عبارة أمير المؤمنين التي يقول فيها "قيمة كلّ أمرئ ما يحسن"(نهج البلاغة، قصار الحكم، الرقم: ٨١).

ما يلي: "قال على بن أبي عليه السلام وجهة قيمة كل انسان ما يحسن فلو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية"(الجاحظ، البيان و التبيين، تصحيح عبدالسلام هارون، ج ١، ص ٨٣).

وقد نقل الجاحظ عدّة خطب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه "البيان والتبيان" (الجاحظ، البيان والتبيين: ٢٤٠-٣١٢، ٢٣٧)

وقد اقتطف الجاحظ مائة كلمة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن ينقلها السيد الرضي فيما عمد رشيد الوطواط وابن ميثم البحراني إلى شرح هذه الباقة التي جمعها الجاحظ وقد وصف الجاحظ هذه الكلمات قائلاً: إن كل كلمة منها تفي بألف من محاسن كلام العرب ولم يخصها من سائر حكمه"(الأرموي المحدّث، شرح إبن ميثم على المائة كلمة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٤٩هـ.ش.، ص٢)، وكان من تأليفات الجاحظ كتاب باسم ((مائة من أمثال الإمام علي عليه السلام (راجع: دانشامه جهان اسلام، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن حجر)، والظاهر أن ما ذكر قد ورد في هذا الكتاب.

ولا يُخفي الجاحظ تأثره بخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سواء ذكر اسمه في طيات كتبه أو لم يذكره، وهذا ما وجدناه في كتابات الجاحظ نفسه، كما نجد في كتبه "المحاسن والأضداد" و"كتاب الحيوان "و"التاج في أخلاق الملوك" وغيرها.

واستطاع الجاحظ أن يستثمر خطب الإمام علي عليه السلام في وصف الحيوانات والدقة العالية واللغة الوصفية الجميلة التي كانت مميزة عن لغة الأدب في عصره، فكان وصف الطاووس في خطب الإمام علي عليه السلام فنشاهده كيف يصف الطاووس بقوله عليه السلام "تخال قصبه مداري من فضة، وما أُنبت عليها من عجيب داراته، وشموسه خالصَ العقيان، وفلَذ الزبرجد. فإن شبهته بما انبتت الأرض قلت: جنىً جُني من زهرة كل ربيع. وان ضاهيته بالملابس فهو كموشيّ الحلل، أو كمونقٍ عصب اليمن، وان شاكلته بالحُليّ فهو كفصوص ذات الوان، قد نطّقت باللجين المكلّل، يمشي مشي المرِح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله واصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حُمش كقوائم الديكة الخلاسية، وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفيه، وله في موضع العُرف قُنزعة خضراء موشاة. ومخرج عنقه كالأبريق، ومغرزها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال، وكأنه متلفع بمعجر اسحم إلا أنه يُخيّل لكثرة مائه وشدة بريقه، أن الخضرة الناضرة ممتزجة به. ومع فتق سمعه خطٌّ كمستدق القلم في لون الأقحوان، ابيض يقق، فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق. وقلّ صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه، وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالأزاهير المبثوثة، لم تربّها أمطار ربيع، ولا شموس قيظ. وقد ينحسر من ريشه، ويعرى من لباسه، فيسقط تترى، وينبت تباعاً، فينحتُّ من قصبه انحتات أوراق الأغصان ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه، لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه ! وإذا تصفحتَ شعرةً من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية، وتارة خضرة زبرجدية، واحياناً صفرة عسجدية، فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن أو تبلغه قرائح العقول أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين ! وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه ! فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاّه للعيون، فأدركته محدوداً مكوناً ومؤلّفاً ملوّناً وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها عن تأدية نعته"(قصاب، وليد، قضايا الأدب الإسلامي، ٢٠٠٨م، ص٥٨).

هنا تتساوق الألفاظ الجميلة بجرسها الرائقة بظلالها الفخمة ببنائها صورها، لتكون واصفة للطاووس في عجيب تكوينه وتناسق ألوانه وحركات خيلائه ومعاني أصواته، وهذه الدلالة التي يبحث عنها الجاحظ في قدرة الله الخلاّق العظيم، وعجز عقول البشر القاصرة

عن ادراك أسرارها، وعجزت ألسنتهم عن الوصف الدقيق لعجائب الكون ولطائف الوجود، رغم أنهم يرون كل ذلك بأم أعينهم ويدركونه بسائر حواسهم. وهكذا يسعى الإمام علي عليه السلام من تصويره الفني للطاووس ليصل إلى ربطه بالحقيقة الكبرى وراء هذا العالم المحسوس، ونجد أمثلة هذه الهدفية أيضاً في وصفه عليه السلام للخفاش والنملة والجرادة وغيرها من المخلوقات، وكثيرة هي أوصاف الحيوانات والطيور في خطب الإمام علي عليه السلام وفيها من الألفاظ والصور والحقائق ما يذهل المتلقي وان كان مختصا.

ومن بديهة القول أنَّ نهج البلاغة له تأثير كبير في النثر العربي خاصة والأدب عامة، وما سقناه في بحثنا هذا غيض من فيض، لكنّنا اخترنا شخصيات أدبية نثرية من بين مئات الشخصيات المتأثرة بهذا الإرث الديني واللغوي الشريف على قدر الإمكان؛ والباحث عن المزيد يجد والمصادر التاريخية والمراجع الروائية والموسوعات الأدبية مليئة بالشواهد والآثار والدرر العلو

الخاتمة:

نَهجُ البَلاغَة هوَ مَجمُوعةٌ شهيرةٌ من خطبٍ، رسائلٍ، تفاسيرٍ، وروايات منسوبةٍ إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ابنُ عمّ النبي محمد صلى الله عليه وآله، جمعها الشريف الرضي أحد علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

لقد دأب الخطباء والمتكلمون العرب ومنذ القرن الأوّل وما تلاه إلى مطالعة خطب أمير المؤمنين عليه السلام واستعمال بعض مقاطعها ليحسّنوا كلامهم ويجملوه ويهذبوه من كلّ ما يضرّ ببلاغتهم واستعمالاتهم الخاطئة، وليكون ملكة فيما يتفوهون به أمام مخاطبيهم أو يكتبوه لقرائهم ولو لاحظ الباحث ما كتب من خطب أو رسائل لأدباء عرب بل وشعراء بعد الإسلام لأدرك دون أدنى شك أثر خطب الإمام علي عليه السلام على ما أنشده الشعراء أو نشره الأدباء العرب في أبياتهم أو مدوناتهم، ونستخلص من بحثنا:

- نهج البلاغة كتاب يمثل معارف مختلفة في اللغة والأدب، لا يمكن ان يهمله كاتب ضليع أو أديب جهبذ إلا وبان ذلك في نتاجه.
- سبق الشريف الرضي في جمع خطب الإمام علي عليه السلام مجموعة من الأدباء الذين جمعوا تلك الخطب وحافظوا عليها وحفظوها.

- تأثر عدد كبير من الأدباء في القرن الثاني الهجري وما تلاه بتلك الخطب الرائعة، وبعضهم أشار لذلك والبعض الآخر ترك الإشارة خوفا من حكام الجور أو محاباة لهم.
- الجاحظ اكثر الكتّاب تأثرا بنهج البلاغة تلاه ابن المقفع ثم عبدالحميد العامري والحسن البصري، وبان ذلك الأثر في نتاجهم وما وصلنا منهم.
- ظهر التميز البنائي النحوي والأسلوبي في نتاج كتّاب القرن الثاني الهجري واضحا، وأضاف لهم قوة أدبية مميزة، وهو ما يحسب لهم كونهم سباقين لتلقف تلك الخطب والرسائل العلوية وحفظها.
- كان دور الاقتباس عند أدباء القرن الثاني الهجري نافعا لمن اخذ عنهم في حفظ وبيان منزلة نهج البلاغة بين العرب وغيرهم.

هوامش البحث

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد المعروف بالكاتب، أديب كاتب بليغ، أصله من قريسارة ونشأ بالأنبار وسكن الشام، له رسائل في ألف ورقة ونصيحة الكتاب وما يلزم أن يكونوا عليه من الأخلاق والآداب، قتل مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية سنة ١٣٢ هـ.

قائمة المصادر والمراجع

١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق قيس العطار، مؤسسة الرافد للطباعة، قم، ٢٠١٠م.

٢) شهيدي، مقدمة نهج البلاغة، دار الهادي طهران، ١٣٦٣هـ.

٣) الأميني، محمد هادي، مقالة نهج البلاغة وأثره على الأدب العربي، انتشارات نهج البلاغة.

٤) إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ط ١، ج ١، مقدمة نهج البلاغة، ١٣٧٨- ١٩٥م.

٥) الجاحظ، البيان والتبيين، تصحيح عبدالسلام هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ،ج ١،

٦) إبن ميثم، على، المائة كلمة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، المصحح: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، طهران: مطبعة جامعة طهران، ١٣٤٩ه.ش.

٧) الوطواط، رشيد، مطلوب كل طالب من كلام امير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، تصحيح: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، طهران: مطبعة جامعة طهران، ١٣٤٢ه.ش.

٨) ناجي، محمدرضا،((الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر))،دانشنامه جهان اسلام،١٣٨٤.

٩) الدمشقي، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، معجم المؤلفين،(المتوفى: ١٤٠٨هـ) الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ١٩٦١م.

١٠) صفوت، احمد زكي، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

١١) ابن المقفع، أبو مُحمّد عبد الله، الأدب الصغير والأدب الكبير، تحقيق إنعام فوال، (د.ت).

١٢) كرد، محمد على، أمراء البيان، ج٢،ط١، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).

١٣) حسين، طه، من حديث النثر والشعر، دار المعارف، ط١، مصر، (د.ت).

١٤) العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،ج٢، ط٢، ١٩٧١م.

١٥) البغدادي، القالي، الامالي، أبي على إسماعيل، مجلد١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ت).

١٦) الدمشقي، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

١٧) قصاب، وليد، قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

١٨) الذهبي،٢٠٠٦، سيرة أعلام النبلاء، ج٤،القاهرة، دار الحديث.

١٩) زيدان، جرجي،٢٠١٣، تاريخ آداب اللغة العربية، مصر، مؤسسة هنداوي.

٢٠) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،٢٠٠١م، مراجعة خليل شحادة- سهيل زكار، ج١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.